الأحداث التاريخية وعوامل بقاء الدول وسقوطها عند آرنولد جوزيف توينبي (دراسة تحليلية ونقدية)

مظفر علي بن لطف علي*

Abstract

Arnold J. Toynbee (1975 C.E.) is a philosopher of history and has contributed in the field much. He gave civilizational thought to the civilizational history in general and Islamic Civilization in particular. He presented A thoughtful book surrounding his civilizational vision; which explain the worlds ups and downs through unique concept of history. Although he presented a quality research about the division of the civilizations in historical perspective in the light of religion, his work shows many aspects to be reassessed. In the light of his understanding of world civilizations, the first division includes twenty-one civilizations, but with the passage of time the number reduces and now only five are left in the contemporary world. In the light of his philosophy, religion has played significant role in the rise and fall of civilizations through their various stages, but this research around his thought about Islam. Though his view of philosophy of history was appreciated by some Muslim historians, yet his approach to the Islamic Civilization has several problems. Therefore, this study attempts to reflect upon his Historical conceptional vision through survival and falls of states and his Historian educational way and methodology to Religion and Islamic civilization. The basic question of this research is: What is his thought about Historical events and factors? How much he has ability of History field in the light of Religion? His thought about survival and falls of states?

This research aims to remove some misconceptions of the West that are based on Toynbee's understating of Islamic civilization and Islamic History. And, consequently, it intends to improve relations between the people of this side of the world to the other side.

Keywords: Arnold J. Toynbee, Islamic History, Islamic Civilization.

"المستشرق أرنولد جوزيف توينبي و آرائه حول الإسلام في كتابه"مختصر دراسة التاريخ""، أرسلت للنشر إلى المجلة العلمية. أنه ركز على هذه الفكر الفلسفية الإجتماعية خاصة في كتابه " A Study of History" (دراسة للتاريخ) ، أن عالم متخصص أمريكي سومر فيل تأثر من فكره فاختصر كتابه باسم

*المحاضر القسم الدراسات الإسلامية، جامعة نمل إسلام آباد-

"Abridgement A Study of History" (مختصر دراسة التاريخ)، فلذا هذا الموضوع سيشتمل حول أفكاره خلال الكتاب "مختصر دراسة التاريخ". أن ابن خلدون عالم الإجتماعي الأول الذي نظم هذا الفن، فلذا في ضوء التاريخ الإسلامي أقوي البحث من أقواله وأمثلته العلمية الفلسفية، لنعرف الجوانب الإيجابية والسلبية في أحوال التاريخية من فكر المستشرق.

قد كتب عن نظريات توينبي وكتبه كثيراً من العلماء وفي الغرب خاصة، لأن بعض نظرياته تحدى لهم خاصة لفكرهم ولعقيدتهم، ولذا عندما ننظر تلك الدراسات نجدها دراسات جانبية لجانب ما. هناك بعض الكتب والمقالات التي كتب من قبل عن توينبي خاصة تعقب لأفكاره من كتابه "دراسة التاريخ". منهم:

- "Toynbee and History: Critical Essay and Reviews" آشلى مونتاك (Ashley Montagu) ، هذه المراجعة لكتاب "دراسة التاريخ" والدراسة نقدية، حيث ينقده بسبب أن أفكار توينبي كان يتصادم مع أفكارهم الدينية وكان يتصادم أفكاره مع أفكار الفلاسفة المؤرخين الغربيين. ولذا كان ضروري دراسة كل الجوانب عن أفكاره ونظرياته غير مائلاً إلى هنا أو هناك.
- مؤرخ معاصر "Pitirim A. Sorokin" قد نقد على الجزء السادس لكتاب "دراسة التاريخ" عندما نُشر هذا الجزء، بمقال 'Arnold j. " Toynbee's Philosophy of History "، هذا المقال دراسة الجزء السادس وعقبه لنظرياته الذي يتصادم مع نظريات الفلاسفة من مؤرخى الغرب.
- كذلك الباحث علاء الدين السيد محمد تقي الحكيم بعنوان:أضواء على اطروحات توينبي في فلسفة التاريخ: تعريف ونقد، وجدت تلخيص هذا المقالة على "نيت"، هذا هو النقد لبعض أفكار التوينبي في فلسفة التاريخ، لم يتخصص دراسته بكتاب "دراسة التاريخ".
- "Globalization and Global History in Toynbee" "MICHAEL LANG" هذه المقالة يدور حواره حول نظريات توينبي التي كان عن تاريخ العالم والعولمة.
- بروفيسور ف هال " Prof. F. Hale, Department of English, University of Stellenbosch" دراسة عن نظريات توينبي عن الحضارة وتحديات وردِّه، خاصة أحاط جانب الحضارة المسيحية أو اللإمبراطورية الغربية، وموضوعه " Debating Toynbee's Theory of Challenges and Response: Christian Civilisation or Western Imperialis" ، وأن عنوان الموضوع واضح عن أي غرض هذه الدراسة، ويوثق على كتاب "دراسة التاريخ" في هذه المقالة.
- د. مهدي عبد الحميد حسين، و د. عابد براك الأنصاري، عوامل التحضر عند ابن خلدون)ت، ٨٠٨هـ (وتوينبي "دراسة مقارنة"، بجامعة سامراء –كلية الآثار.

ونجد دراسات كثيراة عن توينبي لنظرياته لكن كثيراً ما يتعلق حسب أفكاره، وقاموا بدراسة أفكاره ونظرياته بعض أهل العلم الذون ترجموا كتبه إلى اللغة العربية، مثل فؤاد محمد شبل ومحمد شفيق غربال ودكتور نقولا زياده[1]، وطه وباقر[2] وغير هؤلاء، ولم أجد في هذا المجال دراسة مستقلاً عن هذا الكتاب.

أن التاريخ عرض في دائرة محدودة بالتسلسل خاصة في جوانبه السياسة، والانتظام السلطنة، والفتوحا و عن الأسر الحكام. حتى جاء الوقت بحث المؤرخون الجوانب الإجتماعي في التاريخ[3].لمعرفة وقائع التاريخ منهجياً حسب بعض الأسئلة: ماذا؟، من؟، أين؟ متى؟لماذا؟ وكيف؟. ومن هذه الأسئلة سؤالين أكثر أهمية "أين؟ ومتى؟". ولمعرفة التاريخ حسب النظريات ولارتقائه أنواع:

١- ارتقاء مع مراحل التغير وإلى التغير.

٢- فرق بين الحقيقة واالآراء...

٣- الفرق بين زمن تأريخة(Anachronism) و التاريخ المعاصر(Contemporary History) .

٤- العلوم الطبيعية والعلوم الإجتماعية والفنون.

٥- أقسام التاريخ.

٦- علاقة التاريخ مع سائر العلوم[4].

فتنقسم العصور التاريخية إلى ثلاثة أقسام؛ االتاريخ القديم، والتاريخ الوسيط، والتاريخ الحديث والمعاصر[5]. وحسب قولا لفيلسوف الإيطالي فيكو[6] يوجد خمسة أخطاء في آراء المؤرخين.

---

[1] آرنولدتوينبي، مختصر دراسة التاريخ، موجز: سمر فيل، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة، (القاهرة:شارع الجبلاية بالأوبرا،الجزيرة،٢٠١١).

[2] آرنولد توينبي، بحث في التاريخ،(بيروت، لبنان: شركة بيت الوراق،٢٠١٥).

[3] ڈاکٹر مبارک علی، تاریخ تحقیق کے نئے رجحانات،(لاہور، پاکستان: فکشن ہاؤس مزنگ روڈ، ۲۰۰۴م)،۱۱۵

[4] د. خرم قادر، تاريخ نگارى،(لاهور، پاكستان: مكتبه فكر ودانش، ١٩٩٤ م)،٢٠

[5] اسماعيل سراج الدين، ابن خلدون انجاز فكري متجدد،(مصر: مكتبة الإسكندرية،٢٠٠٨م)،٦٧

[6] جامباتستا ڤيكو Giambattista Vico أو Giovanni Battista Vico (و. ٢٣ يونيو،١٦٦٨- ٢٣ يناير، ١٧٤٤)، فيلسوف إيطالي, مؤرخ, و قانوني.واحداً من الرواد في العصور الغربية الحديثة في مضمار فلسفة التاريخ. إن أهميته الرائدة في طرف فلسفة التاريخ تكمن في رائعته المعنونة مبادئ أو إصول العلم الجديد ، والتي نشرها باللاتينية ومن ثم بالإيطالية . وجاءت النشرة الأولى عام ١٧٢٥ قبل وفاته. والواقع رغم منح الباحثون الريادة لفيكو في فلسفة التاريخ الحديثة، فإن مصطلح فلسفة التاريخ لا يوجد له أي أثر في نص رائعته إصول العلم الجديد.... " Johann Gottfried

١- التفكير الرغبي عن رشاقة الماضي.[7]

٢- افتخار على أيامهم الماضية وعلى غرور قومهم.[8]

٣- غرور العلماء ويتصور أن الانسان الماضي كان عاقلاً مثلنا.[9]

٤- إن وجد لدول مؤسسة مماثلة، فمؤكد كليهما نقلا بعضهما البعض.[10]

٥- أن السابقين (قوم الماضي) بالتأكيد كانوا يعرفون أفضل منا عن عصرنا[11].[12]

---

von Herder, *Abridged and with an Introduction By Frank E. Manuel, Reflections on the Philosophy of the History of Mankind,* The University of Chicago Press, 1968 pp 3-78."

[7] في الحقيقة الذهول عن المقاصد، كما يرى نفس الفكر ابن خلدون "فكثير من الناقلين لايعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه، فيقع في الكذب". (عبد العليم خضر ، المسلمون و كتابة التاريخ دراسة فى التأصيل الاسلامى لعلم التاريخ،(العرق: المعهد العالمى للفكر الاسلامى، الموصل،ط ٢،١٩٩٥)،١٠٩

[8] لإظهار التفاخر تقرب الناس –في الأكثر، لأصحاب التجلّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال، وإشاعة الذكر بذلك فيستفيض الإخبار بها على غير حقيقة. (عبد العليم خضر، المسلمون و كتابة التاريخ دراسة فى التأصيل الاسلامى لعلم التاريخ، ١١٠؛ **ڈاکٹر مبارک علی، تاریخ کی روشنی،(لاہور، پاکستان: تاریخ پبلیکیشنز، ۲۰۱۲)، ۱۱**

[9] حسب المنازل في الفن؛ الجهمل بطبائع الأحوال: "فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب" هذا الفلسفة عرّف ابن خلدون أولاً. (عبد العليم خضر ، المسلمون و كتابة التاريخ دراسة فى التأصيل الاسلامى لعلم التاريخ، المعهد العالمى للفكر الاسلامى، ١١٠؛ **ڈاکٹر مبارک علی، تاریخ کی روشنی،(لاہور، پاکستان: تاریخ پبلیکیشنز، ۲۰۱۲)، ۱۲**

[10] فإنه كثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، لم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها، ولاسبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط... (عبد العليم خضر ، المسلمون و كتابة التاريخ دراسة فى التأصيل الاسلامى لعلم التاريخ، ١١٠؛ **ڈاکٹر مبارک علی، تاریخ کی روشنی،(لاہور، پاکستان: تاریخ پبلیکیشنز، ۲۰۱۲)، ۱۲**

[11] **د. خرم قادر، تاریخ نگاری، ۲۱۲**

[12] حسب فكر ابن خلدون هذا توهّم الصدق، "ويجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين". من خصوصيات التاريخ يضيف في شعور الإنسان وعلمه مع مرور الإيام، لذا يتدبر الأمر يتجرب في الفن مع مرور الماضي... (عبد العليم خضر، المسلمون و كتابة التاريخ دراسة فى التأصيل الاسلامى لعلم التاريخ، ١١٠؛ **ڈاکٹر مبارک علی، تاریخ فہمی،(لاہور، پاکستان: تاریخ پبلیکیشنز، ۲۰۱۴)، ۱۷**

قبل القفز في الرؤية التاريخية لآرنولد توينبي قدمت بعض النقاط للمؤرخين، حسبما كنت أفكر عن فهم غاية التاريخ، خاضة عن معرفة التاريخ ثم النظريات التاريخية والمقارنات والغايات التاريخية؛ لذلك أولاً راجعت إلى المؤرخ الإستاذ دكتور خرم قادر (جامعة قائد اعظم بإسلام آباد)، ففهمت بعض النقاط المهمة لذا جهدت للتطبق، ثم راجعت لفهم الفكر التاريخي للأوربيين، لذلك أخذت بعض النقاط عنهم، ليكون الاعتدال عن الفكر في التاريخ خلال فهم البحث وكتابته.

ولقد أحسن تفسير التاريخ ابن خلدون، إنه يفكر في شيء ويبحث عن أسرار التاريخ والعمران[13] وحركتهما ذلك بحثا طويلاً، كما هو يدرس أحوال المدن والدول ونظمها والمجتمعات وما يطرأ عليها، ولكنه يختم كل فصل من فصوله بجزء من آية قرآنية أو حديث يؤكد به إيمانه (ولكن كثيرا ما هو فكر القرآن كاملاً ولكن لم ينطبق حرفاً بحرف بحروف القرآن)، حيث يظهر من فكره في أحوال الدول وقيامها وسقوطها " والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين" (يقول: هذا آخر الكلام في الطبقة الأولى من العرب ومن عاصرهم من الأمم،)[14]وفي ختام كلامه حسب الأماكن "والله قاهر فوق عباده وهو الواحد القهار"[15]. ويقول "السخاوي" في تعريف التاريخ: "إنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم"[16].

---

[13] "وما يعرض في العمران من دولة وملة، ومدينة وحلّة، وعزة وذلة، وكثرة وقلة، وعلم وصناعة، وكسب وإضاعة، وأحوال متقلبة ومشاعة، وبدو وحضر، وواقع ومنتظر، إلا واستوعبت جملة، وأضحت براهينه وعلله."وما يعرض العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس، والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم منا للكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. "أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهما لاتدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول". (ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق، علي عبدالواحد وافي،(مصر:دار نهضة،٢٠١٤م)،٣٢١،٢٨٧

[14] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،(بيروت– لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠١ م)،٢: ٥٠

[15] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،١: ١٩٢. د. حسين مؤنس،**الحضارة**،(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،١٩٩٠)،١٦٥

[16] السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، **مؤسسة الرسالة**،(بيروت: الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)،١٩

قبل أن ندخل في بيان الأحداث التاريخية وعوامل بقاء الدول وسقوطها، علينا نعرف فكر توينبي عن سلسلة التاريخ، حيث يقول: "ومن المسلّم به – بصفة عامة – أن تحقيق الوقائع وتسجيلها، هو الأسلوب الفني للتاريخ؛ وأن الظواهر في مجال هذا الأسلوب، هي الظواهر الإجتماعية للحضارات، وأن استخلاص قوانين عامة وصياغتها هو الأسلوب الفني للعلم؛ وأن في ميدان دراسة الحياة البشرية، العلم هو علم الأنثروبولوجي، وأن الظواهر في مجال الأسلوب العلمي هي الظواهر الإجتماعية للمجتمعات البدائية... وأن العلاقات الشخصية بين أفراد من البشر، هي الظواهر في مجال هذا الأسلوب...[17]

فكر توينبي عن الأحداث التاريخية:

قبل أن ندخل قي تحقيق التاريخ لتوينبي أولاً أريد أبدأ أحواله عن أحداث التاريخ من قيام بابه المسمى "اصطدام الإسلام بالعالمين المسيحين"، من حيث يظهر أنه لم ينصف في دراسة التاريخ في بيان مراحل الأحداث التاريخية، بأنه يقول: "ولم يكن الهجوم الإسلامي على المسيحية الغربية عن طريق أيبريا وفيما وراء جبال البرانس ... بالشدة التي بدأ بها، وذلك بسبب طول خط المواصلات بين هذه الجبهة، وينابيع الطاقة الإسلامية في جنوب غرب آسيا. ولايصعب علينا العثور على نقطة كانت فيها خطوط المواصلات أقصر، وظهر بالتالي أن الهجوم الإسلامي كان عندها عنيفاً غاية العنف. وتتجلى هذه الناحية في الأناضول التي كانت في ذلك الوقت معقل الحضارة المسيحية الأرثوذكسية..."[18] ويبرهن توينبي على فكرته بقوله: "و حاصر المسلمون القسطنطينية حصاراً فاشلاً من سنة ٦٧٣ ... إلى سنة ٧١٨. بل إنه حتى بعد فشل الحصار الثاني ... طفق المسلمون يغزون بانتظام مرتين في السنة، ما بقي أملاك المسيحية الأرثوذكسية في الأناضول... واستجابت المسيحية الأرثوذكسية لهذا لضغط الإسلامي سياسية..."[19]. ويتضح من هذا البيان نظرته التاريخية.

ويذكر توينبي أحداث التاريخ ولكن كثيراً ما يتحدث عن النتائج عبر الحروب والقتال، يذكر عن الأقوام والحضارات حسب تقسيم الديانات، ومن خلال هذا البحث أريد أن أبحث فكره ودراسته عن التاريخ الإسلام، لذلك هو يقول أن حروب المسلمين مع الآخرين كان عبر المماليك، كانوا يأتون بالمحاربين المماليك ويمثل هكذا: "... واستخدم الخلفاء العباسيون بعد ذلك بألف سنة، نفس الطريقة واتبعوا نفس الأسلوب

---

[17] آرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، موجز، **سمر فيل**، ترجمة: فؤاد محمد شبل، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة،(الجزيرة، القاهرة: شارع الجبلاية بالأوبرا،٢٠١١م)،١: ٧٢

[18] أيضاً،١: ٢٦٧

[19] أيضاً،

للاحتفاظ بسلطانهم؛ فاشتروا الأرقاء الأتراك من السهب ودربوهم على الجندية وعلى الأعمال الإدارية. واحتفظ الخلفاء الأمويون في قرطبة بحرس شخصي من الأرقاء،... وكان المماليك في الأصل، هم المحاربون الأرقاء للأسرة الأيوبية التي أنشأها صلاح الدين..."[20]. يظهر من هذا الكلام أن بيانه عن التاريخ الإسلام غير مناسب لدراسته عن المسلمين مطلقاً، نفس الشيء ذكر توينبي عن العثمانيين، أني أشرت في بداية الكلام إلى جانب واحد فالقارئ يفهم مافيه مع الحقائق وعليه أن يرجع إلى أصل الكتاب للتفاصيل عن هذا الأمر في الباب الثاني، الفصل الثامن موضوع: "اصطدام الأسلام بالعالمين المسيحين" إلى نهاية الفصل. ويتحدث عن تاريخ العثمانيين قائلاً: "وبرز في الفترة بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين سؤال سافر مداره فيما إذا كان التراث العثماني في مصر سيرتد إلى المماليك أو أن مصيره الوقوع في قبضة إحدى الدول الأوربية ...، بيد أن هذين الافتراضين كليهما لم يتحقق عملياً بفضل المغامر العثماني المسلم محمد علي [21]؛ الذي وجد صعوبة في تسوية أمر المماليك..."[22]. أما ابن خلدونفقد ذكر حقائق تاريخية حيادية أخذ معظمها توينبي ولم يشير إلى ذلك، مما يدل على أن توينبي لم يلتزم بالأمانة العلمية عند الأخذ من ابن خلدون الذي يسبقه بقرون بفكره وعلمه.وكما يبدو أن آرنولد توينبي الذي شن حملة شعواء على الحضارة الإسلامية قال بحتمية التاريخ متأثراً بقانون السببية عند ابن خلدون ، ولكنه لم يشر إلى ذلك.[23]

---

[20] أيضاً،١: ٢٩٢

[21] محمد على الألباني،ولي مصر في٢٠ ربيع الأول١٢٢٠هـ /١٨ يونيو١٨٠٥، الذي تولى مصر عندما عادت بريطانيا إلى الباب العالي، نجح في ١٨٣٩ الميلادي، ولم يكن مرجحاً أن يواجه محمد على باشا معارضة دينية كبيرة من العلماء الأتراك... كان مفادها أنه خلص المدينيتين المقدستين مكة والمدينة من الوهابيين... أعيد الأرناؤوطي شديد المغامرة إلى المنصب الملكي المناب في مصر، وأعطى للبيت العثماني عقداً جديداً بالسيادة الروحية... (سكاون بلنت، مستقبل الإسلام، ترجمة: د. صبري محمد حسن، **كتاب دار الجمهورية**،(المصر: ٢٠١٠)،٧٦؛ وتذكرة عنه وعن ولايته بالتفاصيل أن كيف حكم في المصر وكيف وصل إلى المكان ومرتبة في الخلافة العثمانية (يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: عدنا محمود سلمان،(تركيا،استنبول: مؤسسة فيصل للتمويل،١٩٩٠)، الجزء الثاني،١٥-٤٠

[22] آرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ،١: ٢٩٣

[23] –يتفق توينبي مع ابن خلدون في أن الدولة العامة الاستيلاء تنتقل من البداوة إلى الحضارة، وتمر بأدوار مختلفة، تبدأ بدور يتسم بقوة العصبية والنشاط الاستثماري اللا محدود ثم دور العمران والمدنية وما يرافقه من رفاهية وبذخ، ثم تمرض الدول وتهرم وأخيراً تموت. (ابن خلدون: المقدمة،١٧٢ وما يليها؛ توينبي: دراسة في التاريخ،١: ١٨٤

2– يتفق توينبي مع ابن خلدون على عدم الاعتماد على التفسير البيئي أو التفسير العمري كما يذهب إلى ذلك إشبنجلر على الرغم من أن ابن خلدون وتوينبي قد تكلما عن البيئة، وبينا أثرها في تكوين الدول وقيام المجتمعات، وقد

يقول توينبي عن العلاقات المسيحية والعثمانيين: "وهنا انخدع السكان من أتباع المسيحية الأرثوذكسية في السلام العثماني Pax Ottomaniea، الذي كان يحملهم في الأصل على احتمال ربقة العثمانيين. فلقد تمثّلت الحرب الكبرى من سنة١٦٨٢ م إلى سنة ١٦٩٩ م بين الإمبراطورية العثمانية ودول المسيحية الغربية الخسارة الأولى من سلسلة خسائر العثمانيين لأراضيهم. وهي سلسلة بدأت منذ حرب ١٦٨٢ – ١٦٩٩ الكبرى بين الدولة العثمانية والدول الغربية، وبعد ذلك حتى عام ١٩٢٢ م. وانتقل التفوق والنظام بعد تلك الحرب من المعسكر العثماني إلى الغرب بشكل قاطع."[24]. لم يذكر توينبي عن المعاهدة بين الغرب والعثمانيين في ١٩٢٢ م، أنا في مرحلة البحث عن هذا العقد الاتفاق والقرار عبر كتب التاريخ، ولكن يبدوا أنها كانت ذلك الوقت العقد الاتفاق والقرار لمائة سنة، أن كتاب "التاريخ الإسلامي – العهد العثماني" قام الفصل بعصر الضعف وبين عصر النهائي بتفصيل حتى ذكر اتفاقيات مع الدول الأجنبية حيث أشار إلى بعض المعاملات مع الدول الأجنبية[25].

في النهاية أريد أبين جواب توينبي لسؤال "لم هجر الأتراك العثمانيون حروف الكتابة العربية عام ١٩٢٨؟"، يقول توينبي عن هذا السبب: "تفسير إحلال الأتراك حديثاً الحروف اللاتينية محل الحروف العربية. فلقد اتجه مصطفى كمال أتاتورك وزملاؤه اتجاهاً غربياً محضاً داخل نطاق عالمهم الإسلامي. وفقدوا إيمانهم بتقاليد حضارتهم، مما حدا بهم إلى نبذ الواسطة الأدبية لهذه الحضارة."[26]. ويقول عن أسباب موت الحضارات يقول "حضارات ماتت عن حروف كتابتها التقليدية..." هذا من نفس المصدر كما ذكرت في الهامش وفي نفس الصفحة، وذكر فيها البلاد كما الحضارة المصرية والمسمارية في بابل، والصين واليابان.

أكد كل منهما أن نشأة الحضارات يعود إلى مجموعة من العوامل ومنها عامل البيئة، ومن مجموع تلك العوامل تنشأ الحضارات وتقوم المجتمعات. (ابن خلدون: المقدمة،٥٢ وما يليها؛ توينبي، **دراسة في التاريخ**،١: ١٨٤

3-يعزو توينبي نشوء الحضا ا رت إلى عامل التحدي والاستجابة، فهو يرى أن المجتمع يبدأ مجتمعا بدائيا ثابتا، ثم ينتقل إلى مجتمع مدني متحرك، وهو بهذا يتفق مع ابن خلدون، الذي يؤكد أن المجتمع يتحول من طور البداوة التي تتسم بالركود والجمود والإعتداد بالعصبية إلى طور التمدن والتحضر ومواكبة حركة الحياة ، ومتغيراتها. (ابن خلدون: المقدمة،١٧٢ ؛ توينبي:**حرب وحضارة**، ترجمة، غياش حجار،(بيروت: ١٩٦٣م)،١٥-١٧

[24] آرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،١: ٢٩٧

[25] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: العهد العثماني،(بيروت: المكتب الإسلامي،ط ٣،١٩٩١)، الجزء٨،١١١-١١٦

([26]) آرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،١: ٤٣٥،٤٣٠

حضارة آشور: الشعب الآشوري جماعة كانت قائمة أكثر من ألفي سنة، وقامت بدور رئيسي في جنوب غرب آسيا طوال القرنين ونصف قرن تقريباً، ثم محيت. علة تدميره، هي سياسة الهجوم، ودفع هذه السياسة سادة الحرب الآشوريين إبان دورة نزعتهم الحربية الرابعة والأخيرة... باعتبارها الحافظ على تخوم العالم البابلي ضد سكان الجبال الهمج،في زاجروس وطوروس في جانب، وضد رواد الحضارة السورية من الآراميين. لذلك يبين توينبي حكم ملك آشور وقتما ارتضي ضياع مصر من بين يديه، وضياع مصر كان مقدمة لضياع سوريا في الجيل التالي، وفي تلك المرحلة نبذت آ شور سياسة الاعتدال السياسي. وضعف وسقط وقام حتى واجه قوة القوات المسلمين ووصل إلى نتيجته[27]

قيام الدول وعوامل بقائها وسقوطها:

أني قد ذكرت في الأحداث التاريخية بعض الأمور عن البقاء والسقوط حسب فكر كلا المؤرخين ابن خلدون وآرنولد توينبي، حيث ذكر توينبي عن حضارات الأقوام حسب نظريته هو يذكر عن النتائج النهائية؛ كما ذكرت فكره عن العثمانيين في هذا الباب في الصفحات السابقة ويقول "ولايسدّ ساسة الأتراك في أيامنا الأخيرة إلا جانباً من الفراغ الذي خلفه في الشرق الأدنى، زوال صرح الإمبراطورية العثمانية القديم الفريد في بابه. ... وأصبح ورثة الحضارة العثمانية المتعطلة، يعيشون قانعين في هذا المثوى المتواضع؛ مثلهم مثل الصهيونية ورثة الحضارة السورية المتحجرة المجاورة لهم..."[28]. يفهم من هذا أنه يريد أن يثبت فكرة غير حيادية تاريخياً وهي "السقوط" لغير الغربيين وللغربيين "البقاء".

يقول توينبي عن السقوط ونهاية "اسبرطة"[29] حسب قول أرسطو: "فقد كتب أرسطو العبارة التذكارية على قبر اسبرطة، ..."أحري بالشعوب أن لاتدّرب نفسها على فن الحرب بقية إخضاع جيران لا مبرر لإخضاعهم (أي إخوانها اليونانيين، ... إلى السلالات الأوطأ التي لايحكمها القانون والتي يلقبها

---

[27] آرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،٢: ١٠٤-١١٤.ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، (االقاهرة:الإدارة الثقافية،١٩٤٩م)، الجزء الثاني من المجلد الأول،١٦٤-٢٧٧

[28] آرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،١: ٢٩٨

[29] أسبرطة أو سبارتا (بالإنجليزية: Sparta) مدينة يونانية كانت تعرف بأنها دولة مدينة في اليونان القديمة تقع على جانب نهر يوروتاس في جنوب شرق إقليم بيلوبونيز.تأسست حوالي عام٩٠٠ قبل الميلاد، عبر تجمع أربع قرى هي: لماي، ميسوا، كينوسورا، بيتاني. ... وللتفاصيل بالوضوح أرجوكم إرجعوا إلى الكتاب "شارل سنيوبورس، تاريخ حضارات العالم، ترجمة محمد كرد علي،(الجيزة: الناشر، الدار العالمية للكتب والنشر، فيصل،ط١، ٢٠١٢)،٨٢-٨٧." و في نظر آرنولد توينبي بينه في كتابه بالتفصيل خلال الحضارات. "**مختصر دراسة التاريخ**،١: ٢٩٨-٣٠٣

اليونانيون بالبرابرة)... يجب أن يغدو الهدف الأعلى لأي نظام اجتماعي، تنسيق النظم الحربية ... بغية اتفاقها مع ظروف السلام وقتما يصبح الجندي بعيداً عن الخدمة".[30] ذكر في بيان عن حضارة اسبرطة و عن نشأتها وعن حياتها وحروبها، ثم حكم عليها بالسقوط الحتمي نتيجة أخطاء تاريخية.

الأمر المهم وجود الحضارات حسب الدول والأديان، فيصف توينبي ويقول: "... أن الحضارات المختلفة، تضفي على ضروب معينة لأوجه النشاط، درجات شتى من الأهمية. ... فإن الحضارة السندية وكذلك الهندية المتفرعة عنها، تبدي كذلك نزعة ظاهرة تتسم بغلبة الروح الدينية عليها."[31]. هذا هو عامل البقاء المهم الحضارة، حسب ما أشار توينبي.

أن توينبي كثير ما ركز في تاريخه على المسيحية وبخاصة على الهلينية، لذلك أذكر كمثال التاريخ الهليني كما ذكره توينبي في الفصل السادس عشر، عن المراحل الأخيرة للتاريخ الهليني، على أنه شرك تردى فيه اليونانيون، بينما نجا منه الروما. ولقد تسبب قيام للإمبراطورية الرومانية، في انهيار مجتمع المسيحية الأرثوذكسية. يسوق المؤلف في الفصل تفسيرات للتأثيرات المعوقة لعبادة الملوك، والمجالس النيابية والطوائف الحاكمة، سواء أكانت بيرو قراطية أو نظام قساوسة[32].

فكر عن الأقليات المسيطرة (البروليتاريا) وأثرها على الدولة:

أن فلسفة البروليتاريا حسب الحضارات، عندما يجد الناس القوانين أو الأمور كما يريدون أو يفكرون، يقومون بقوة البشرية، لذلك يسمى لهم بروليتاريا، يقول توينبي: " بروليتاريا (داخلية وخارجية) تستجيب لهذا التحدي بوساطة إدراكها. بأن لها نفساً خاصة بها وتعقد العزم على خلاص نفسها حية."[33] .هذه هي الحرية الانسانية بأنه عندما يفهم الناس حقائقهم ينادون لأنفسهم، لذلك يمكن القول بأن ألبرت أشقيتسر هو على الصواب حسب فلسفته في وجود الحضارة على الأخلاق وعلى النظريات الأخر، حيث يقول "والحرية المادية ترتبط بالحرية الروحية ارتباطاً وثيقاً. فالحضارة تفترض أناساً أحراراً، لأن بالأحرار وحدهم تتحقق الحضارة وتصنع.... ، ...دون شعور تكرس أغلبية أعضاء الدول المتمدينة المتوحشة أقل وقت للتفكير الشخصي الأخلاقي، حتي لايقعوا في نزاع باطن مع اخوانهم في المجتمع[34]"

---

[30] آرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،١: ٣٠٣

[31] أيضاً،١: ٤٠٣

[32] أيضاً،٢: ٦٩-٨٥

[33] أيضاً،١: ١٢٨

[34] ألبرت أشقيتسر،**فلسفة الحصارة**،ترجمة: الدكتور عبد الرحمن بدوي،(القاهرة: المؤسسة المصرية العامة،١٩٦٣م)،٣٢،٢١

حيث التباين بين الحضارات على حسب الدول أو المدن؛ ويبين آرنولد توينبي حسب "د. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ" حسب علاقات البروليتاريا "ولاتجد الأقلية المسيطرة حلا لمشكلاتها الداخلية مع البروليتاريا الناقمة وصراعها الخارجي مع البروليتاريا الخارجية الا بالتوسع الخارجي والاتجاه الى اقامة الامبراطوريات..."[35] لذلك يقول توينبي بنسبة الأقلية إذا كانت الأقلية المسيطرة تقدم الحروب حيث أن البروليتاريا الداخلية تقدم الأديان...[36] كما ذكرت في ذكر سابقاً عن الحضارات حسب أديانهم في "حضارات الأقوام المختلفة". حيث يرى توينبي أن الارتقاء الحقيقي للمجتمع لايقوم به إلا فرد أو أقلية مبدعة من عامة البروليتاريا...[37] عندما بدأ توينبي بحث عن الأقليات المسيطرة، فبعد فلسفته قسمه إلى البروليتاريا الداخلية والخارجية.

أن نظرية البروليتاريا في فكر آرنولد توينبي عندما تقوم الأقليات المسيطرة ضدالدول والحكم، في الحقيقة هذا هو من مراحل انهيار الدول، فلذلك أبين أن الملك في نظر ابن خلدون "إنما هو بالعصبية، والعصبية متألفة من عصبيات كثيرة تكون واحدة منها أقوى من الأخرى كلها فتغلبها وتستولي عليها حتى تصيرها جميعاً في ضمنها"[38]. عندما نبحث في العمق نجد أن هذه النتائج ما سماه آرنولد توينبي البروليتاريا إما داخلية أوخارجية. وهو المفكر الغربي الذي تعلم من كتب المفكر ابن خلدون، وحيث يوجد فكره في فكره مع تغير المجتمعات والحضارات.

وخلاصة فكر توينبي حول البروليتاريا: "فإن الوعي المشترك الذي وحد صفوف المجتمع خلال فترة نمو الحضارة تفتت، والأقلية الخلاقة تفقد قدرتها على الخلق وتصبح مجرد ... أقلية مسيطرة والتي تحاول أن تحتفظ بالقوة ... وعلى الامتياز الموروث التي لم تعد تستحقه، أما البروليتاريا والتي تشعر أنها لم تعد مرغوبة فإنها تكف عن أن تتبع الأقلية المسيطرة التي فقدت قدرتها على القيادة...."[39]. من هذا الكلام نفهم ماذا حقيقة البروليتار. ويقسّم توينبي البروليتاريا إلى قسمين مميزين:

---

[35] د. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، **مؤسسة الثقافة الجامعية**،(مصر: الاسكندرية،١٩٧٥م)،٢٧٥

[36] Arnold. J Toynbee, A study of History, 7th, Impression, (London: Oxford University Press, 1956). Volume II, 81-83.

[37] د. أحمد محمود صبحي، **في فلسفة التاريخ**،٢٨١

[38] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون،١٦٦

[39] السيد أمين شلبي،**نظرات في آرنولد توينبي**،(القاهرة، مصر:دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٠م)،٥٩-٩٦

الأولى : بروليتاريا داخلية عنيدة ذليلة.

الثاني : بروليتاريا خارجيا وراء الحدود تقاوم الاندماج في عنف[40].

بعد ما بين توينبي عن فلسفته عن البروليتاريات، فذكر فلسفة كارل ماركس عن البروليتاريات هكذا.

تنجز الأقلية المسيطرة، دولة عالمية.

وتحقق البروليتاريا الداخلية، عقيدة دينية عالمية.

وننشيء البروليتاريا الخارجية عصابات حربية بربرية[41].

حيث يقول "الدكتور عماد الدين خليل " عن فكر آرنولد توينبي عن الأقلية المسيطرة؛ بأن يوضح توينبي عن (سلوك) الأقلية المسيطرة للحفاظ على مركزها القيادي بالقوة، وردود الفعل التي تبديها كل من بروليتاريا الداخلية والخارجية... ويلاحظ توينبي أن خمس عشرة حضارة على الأقل من مجموع عشرين حضارة منحلّة قد أسست مثل هذه الدول ومرت بها في طريقها إلى الزوال...[42]

أ- فكر آرنولد توينبي و دور البروليتاريا الداخلية [43] في البقاء والسقوط للدولة:

أن توينبي يربط البروليتاريا الداخلية مع انبعاث الحضارات، ومع هذا يتيقن أن البروليتاريا الداخلية ليست مفيدة في حق الحضارات، لذلك عندما تنفصل البروليتاريا الداخلية فتنبعث الحضارة، أما ابن خلدون لم يفكر عن الحضارات كهذه الأحكام، يقول توينبي: "... انبعاث الحضارات بوساطة: انفصال البروليتاريا الداخلية، عن الأقليات المسيطرة التي تنتمي إلى الحضارات السابقة الوجود... لأن القول بتحلل الأقلية المبدعة للحضارة آخذ في النماء ... إن هو إلا طريقة أخرى للقول بانتقال المجتمع محل البحث، من الحركة الدافعة إلى حالة الركود. وعلى الضد من حالة الركود هذه؛ يعتبر إنفصال البروليتاريا، رد فعل يتسم بالحركة وبالقوة الدافعة[44]."[45] فبعد ذلك ينتج مع هذا الانفصال البروليتاريا الداخلية "تبعث حضارة جديدة بفعل

---

[40] آرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،١: ٤١٣

[41] أيضاً،١٥٦-١٥٩

[42] د. عماد الدين خليل،**تفسير الاسلامي للتاريخ**،(بيروت،لبنان: دارالعلم للملايين،ط٣،١٩٨١م)،٨٥

[43] البروليتاريا الداخلية: المستضعفون من أهل الجماعة تتلاشى هيبة الأقلية القائدة من أعينهم ويتجرؤون عليها، وعلى النظام الذي تفرضه، فتكثر الهيجات وفتن وحروب القرى بعضها ببعض، ويتحول ولاة الأقاليم إلى رؤساء عسكريين أو سادة حروب... وتتحول الخلافات الطائفية بين جمهور المدن إلى حروب وصراعات مستمرة. في داخل الدولة طبقة بروليتاريا داخلية كبيرة الحجم غريبة عن طبيعة المجتمع. (د. حسين مؤنس،**الحضارة**،٢٣٦،١٩٣

[44] توينبي ذكر هذه الحركة كثيراً من المجتمع الصين، وقسم الحضارات هكذا، سماها ying الركود و yang الحركة الدافعة.

[45] آرنولد توينبي،**مختصر دراسة التاريخ**،١: ٨٥

إنتقال مجتمع من حالة الركود إلى الحركة الدافعة، مثله مثل التحول الذي ينتج حضارة من مجتمع بدائي."[46].
ومن خلال تعريف البروليتاريا الداخلية يتضح نظر توينبي في كتاب "التفسير الإسلامي للتاريخ " هكذا، يعرفها توينبي بأنها ذلك العنصر الإجتماعي أو تلك الجماعة التي تكون في المجتمع معين ولكنها تكون في أي دور من أدوار تاريخه، البروليتاريا الداخلية التي انشقت عن جسم الحضارة أيام انحلالها والتي يمكن اتخاذها نمطاً عاماً لما قام من أشباهها في الحضارات المختلفة. فقد كانت هذه البروليتاريا مؤلفة من مواطني المدن الهلينية[47] التي نكبتها الفتن السياسية والأزمات الاقتصادية، ومن جموع الرقيق وأبناء الأمم المغلوبة. هؤلاء جميعاً كانوا بروليتاريين لشعورهم الحادّ بأنهم ليسوا في الواقع جزءاً من كيان المجتمع الهليني. ولقد كانت مقاومتهم بادئ الأمر عنيفة، ثم لانت بعد ذلك وبلغب أسمي حالاتها بانبثاق المسيحية عنها ديانة عليا. وهكذا انبثقت اليهودية والزرادشتية عن استجابة البروليتاريا لتحدي الطغيان الأشورى في عهد الدولة الجامعة للحضارة البابلية[48] وبتأثير العوامل نفسها تقريباً تحولت الفلسفة البوذية[49] على أيدي البروليتاريا الداخلية في

---

[46] أيضاً،١: ٨٥

[47] المدينة الهلينية نحو١٠٥٠—٧٥٠ ق. م: خلال القرون الثلاثة المنتهية بنحو٧٥٠ ق. م. كان السوريون قد اخترعوا الألفباء، وكانوا قد اكتشفوا سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط واستعمروها، وكانوا قد انتجوا أعمالاً أدبية ذات قيمة... وإذا كان العبرانيون والآراميون كانوا أميين أيام استقرارهم في سورية، فإنهم لم يلبثوا أن قبسوا الكتابة الجديدة التي كانت كتابة السكان الكنعانيين الذين استقروا فيما بينهم... (آرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ترجمة: الدكتور نقولا زياده، (بيروت:الأهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠٤)،١٨٠-١٨٤ كان أثنين من العباقرته: أفلاطون (قرابة٣٤٧—٤٣٠ق. م) وأرسطو،٣٢٢-٣٨٤ ق. م) ويعتقد توينبي أن يطلق عليه اسم "يونان". كانا أعظم مفكرين هلينيين... (آرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة: رمزي جرجس، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٣)،١٩ و٢١٣. (أرجوكم ارجعوا إلى هذا الكتاب عن حقيقته)

[48] قامت مملكة آشور مكان بلاد الكلدان القديمة الداثرة دعيت مملكة البابليين، أو المملكة الكادانية الثانية. واستولو على بلاد الفرس والجزيرة وسورية، وكانت مدة حكمهم قصيرة، أنشئت المملكة البابلية سنة٦٢٥. كان بختنصر،(٥٦١-٦٠٤ق. م) من أقدر ملوكها... (شارل سنيوبوس،**تاريخ حضارات العالم**، ترجمة محمد كرد علي، (الجيزة: الناشر، الدار العالمية للكتب والنشر، فيصل،ط١،٢٠١٢م)،٢٦،٢٧

[49] مؤسس البوذية هو "بوذا" ولد في عام٥٦٠ ق. م وتوفي في٤٨٠ ق. م. نشر تعاليمه بعد جيل من وفاة صاحب الديانة "جينية". أنه ذكر أربعة أمور لدينه، هي التي أصبحت جوهر الديانة البوذية على مدى العصور... (الدكتور محمد اسماعيل الندوي، الهند القديمة حضاراتها وديانتها،(مصر: دار الشعب،١٩٧٠)،١٤٥-١٥٤

الحضارة الصينية إلى ديانة الماهايانا[50]الرفيعة. وفي ظروف مشابهة نشأ الإسلام على يد الرسول (عليه السلام) وجماعته في المجتمع العربي المتفرع مع شقيقه المجتمع الإيراني عن الحضارة السريانية الزائلة.[51]

بعد ما ذُكرت فلسفة توينبي عن البروليتاريا الداخلية فأُقدّم الآن تقسيمه حسب البروليتاريا الداخلية من الأقليات المسيطرة. في الأقوام و الحضارات كما يلي:

- طراز هليني (بين البروليتاريا الداخلية حسب المسيحية)
- فجوة مينووية وبضعة آثار حيثية.
- البروليتاريا الداخلية اليابانية
- البروليتاريات الداخلية في ظل الدولة العالمية الداخلية
- البروليتاريات البابلية والسوريا
- البروليتاريات السندية والصينة
- تراث البروليتاريا الداخلية السومرية
- البروليتاريا الداخلية للعالم الغربي[52]

يري توينبي أن البروليتاريا الداخلية تتكون من ثلاثة مصادر: مواطنو الدول الهلينية الذين حرمتهم من ميراثهم؛ الفورات السياسية والاقتصادية، وجلبت عليهم الخراب. والشعوب التي أخضعت. والضحايا تجارة الرق[53]. فلسفة آرنولد توينبي حيث ما فهمت من وضوحه عن الأقلية المسيطرة؛ إذا كانت الاقلية المسيطرة تقدم الحروب فإن البروليتاريا الداخلية تقدم الاديان، تنبثق عن الاولى الدول العالمية وتنبثق عن الثانية الأديان العالمية في فترة الاضطرابات، وتستفيد الاديان من الوحدة التي تقيمها الامبراطوريات بين أقاليمها سواء أكانت وحدة سياسية أو لغوية أو تشريعية أو مالية أو انتشار شبكة المواصلات بين أجزائها[54].

---

[50] هذا فرقة البوذية: عقيدة جديدة بين البوذيين تسمى "المهايانا"، تلك التي أضفت على بوذا صفات الالوهية، وعرضته في صورة رب.(الدكتور محمد اسماعيل الندوي،**الهند القديمة حضاراتها ودياناتها**،(مصر:دارالشعب،١٩٧٠م)، ١٥٤

[51] الدكتور عماد الدين خليل، **التفسير الإسلامي للتاريخ**،٨٦

[52] آرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،٢: ١٦٨-٢١٤

[53] أيضاً،٢: ١٦٨-٢٢٨

[54] د. أحمد محمود صبحي،**في فلسفة التاريخ**،٢٧٧

ب–فكر توينبي في دور البروليتاريا الخارجية[55] في بقاء وسقوط الدول:

في نظر توينبي أن تبرز البروليتاريا الخارجية إلى الوجود بفعل انشقاق عن الأقلية المسيطرة لحضارة أصابها الانهيار. في الواقع يعتبر تبلور مثل خط الحدود، العلامة المؤكدة على حدوث مثل هذا الانشقاق بالفعل. لأنه لن يصبح للحضارة التي ما تزال في حالة النمو، حدود ثابتة ومحكمة.ويعتقد توينبي الحدود غير معينة مثل هذه الظروف، طالما أن الحضارة في مرحلة النمو[56]. أن صاحب كتاب "التفسير الإسلامي للتاريخ" يوضح نظرية توينبي عن البروليتاريا الخارجية، بأن يمتد إشعاع الحضارة النامية إلى أمدٍ بعيد، وتنفذ تأثيراتها الاقتصادية والسياسية والثقافية إلى أماكن القبائل البدائية المجاورة لها، فتجذبها إلى موكب الأغلبية السائرة وراء الأقلية الخلاقة فيها. وتظل هذه فعاليتها إلى أن يعروها الضعف والانحلال، لاقتطاع أطرافها السائبة والتمركز فيها، وجعلها جبهات حرب متواصلة، ومناطق حدود معينة بعد أن كانت بالأمس في عهد النمو الحضاري مداخل طليقة وأبواباً حرة. يتم هذا كله لصالح البروليتاريا الخارجية المنشقة عن كيان الحضارة المنهارة وسلطانها، بدليل وجود هذه الخطوط الحربية الفاصلة بين الجانبين. لتدل على وجود هذه الأعراض كلها في موقف البروليتاريا الخارجية المنشقة عن الحضارة المنحلة ينتزع توينبي شواهده النموذجية من تاريخ الحضارة الهلينية في دور انحلالها ويذكر سقوط المدن الاغريقية واحدة تلو الأخرى بأيدي البروليناريين الخارجين في حرب.[57] ينتج عنه –حسب قول توينبي– أنه "يختلف اختلافا بينا في حالة انهيار الحضارة وسلوكها طريق التحلل... ولن تنقاد الشعوب البدائية المجاورة، وفي هذه الحالة بفعل الافتتان، لكنها تساق بفعل القوة الغاشمة. وعندئذ يطرح مريدو الحضارة النامية ولاءهم لها ويتحولون إلى ما ندعوه بالبروليتاريا الخارجية... قد يكون من الميسور تحليل إشعاع أية حضارة إلى ثلاثة عناصر: اقتصادية وسياسية وثقافية."[58].

---

[55] ليس من الضروري أن يكون أولئك المقيمون على الأطراف بدوا رعاة، فقد يكونون صيادين وقد يعيشون في بلاد خصبة وفيرة المطر ولكنهم لايمارسون الزراعة،.... يسمى هؤلاء في مصطلح اليوم باسم البروليتاريا الخارجية، وليس من الضروري أن يكونوا فقراء أو أن تكون أحوالهم شقيقة، لأن الرعاة فيهم جماعات تحيا حياة رغدة،... د. حسين مؤنس، **الحضارة**،٢٣١

[56] آرنولد توينبي،**مختصر دراسة التاريخ**،٢: ٢١٤

[57] الدكتور عماد الدين خليل،**التفسير الإسلامي للتاريخ**،٨٧

[58] آرنولد توينبي،**مختصر دراسة التاريخ**،٢: ٤١٥،١٦

خلاصة الكلام عن البروليتاريا خلال رؤية ابن خلدون

عندما ننظر في أفكار توينبي عن الأقليات المسيطرة، نجد أنه قسّمها إلى نوعين: البروليتاريا الداخلية؛ وهي المسيطرة في داخل الحضر أو الحكم، والبروليتاريا الخارجية؛ وهي المسيطرة من خارج الحضر أو الحكم، وحسب فكر توينبي أن الأقليات المسيطرة يغلب عليها طابع الوحشية والبداوة، وأما ابن خلدون فيرى أن أجيال البدو والحضر طبيعة البشر[59]. هذه الفلسفة ما وجدت خلال كتاب توينبي "دراسة التاريخ"، ويعتقد ابن خلدون خاصة عن البدو، أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وأن البادية أصل الحضارات (العمران) والامصار مدد لها، وأن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر، والبدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر[60].وظهر من كلام توينبي أن أهل الحضر خير من البادية وعدد خصوصياتهم في مرحلة وفي تذكر المجتمعات خاصة في كتابه، ويؤمن ابن خلدون أن معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم[61].

آراء ابن خلدون حسب تاريخ الأقوام والحضارات:

تقول عنه صاحبة كتاب "ابن خلدون مبدعاً"، "أن ابن خلدون كلف نفسه بالبحث عن العلل والأسباب، لما قد وقع من وقائع أدت إلى نشأة الدول... وظواهره، ذلك لأنه لم يكن يقنع بمجرد الكشف عما وقع، حدثاً كان أوفعلاً، ولا بمجرد كيفية وقوع ما وقع، بل كان مشتاقا للبحث عن العلل الكامنة، والتفتيش عن الأسباب الخفية والظاهرة[62]..."

الدولة هي أساس الحضارة في فكر ابن خلدون، وقد بنى ابن خلدون نظريته للدولة على أنَّ لها أعماراً مثل أعمارالبشر، وحدَّد ابن خلدون عمر الدولة بمائة وعشرين عاماً، وفي إطار هذا العمر يميز ابن خلدون بين أربعةأجيال للدولة، **الأول**: وفيه تتميز بقوة العصبية والبسالة والعنف والاشتراك في المجد، ويكون جانبهم مرهوب،والناس لهم غالبون. **الثاني**: وفيه تنتقل من البداوة إلى الحضارة، ومن الاشتراك في المجد إلى

[59] ابن خلدون،**تاريخ ابن خلدون**، الجزء الأول،١٥٠،١٤٩

[60] ابن خلدون نفس المصدر،١٥٢-١٥٦

[61] ابن خلدون، نفس المصدر،١٥٧

[62] سامية حسن الساعاتي، ابن خلدون مبدعاً، المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٦م،١٩

انفراد الواحد به.**الثالث:** وفيه يبلغ الترف غايته، ويصير فيه المواطنون عيالاً على الدولة، وينسون الحماية والمدافعةوالمطالبة، وتسقط العصبية تماماً. أما الجيل **الرابع** فلا قيمة له لأنَّ فيه تفقد الدولة الاحترام والسلطة[63].

إن ابن خلدون اعتمد على استقراء أحداث التايخ للتوصل إلى قوانينه وأحكامه ونظرياته ومبادئه في العمران والدولة والعصبية، وأنه توصل إليه بناء على تكرار الأحداث التاريخية المتشابهة وتحليلاته لهذه الأحداث والمشاهدات، وأنه كان يحتاط عند صياغة قوانينه ونظرياته وأحكامه لذلك استخدم كلمات وعبارات مرنة تفيد سمة التغليب.[64]

أما العصبية عند ابن خلدونفلها علاقة مع العمران في تكوينه وانحلاله، فيرى أن القبيلة تحتاج إلىالعصبية من أجل الحياة والحماية لكي تستطيع الاستمرار والحفاظ على أفرادهاوحدودها، فيقول ابن خلدون في هذا " فأما المدن والأمصار فعدوان بعضهم علىبعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتهم من الكافة أن يمتد بعضهمإلى بعض، أو يعدو عليه فإنهم مكبوحون بحكيمة القهر والسلطان عن التظالم، إلا إذاكان من الحاكم بنفسه. وأ ما العدوان من الذي خارج المدينة فيدفعه سياج الأسوار عندالغفلة أو الغرة ليلاً أو العجز عن المقاومة نهاراً، أو يدفعه ذياد الحامية من أعوانالدولة عند الاستعداد والمقاومة، وأ ما أحياء البدو فيذود بعضهم عن بعض مشايخهموكبراؤهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار، وأما مللهم فإنما يذود عنها منخارج حامية الحي من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة ولا يصدق دفاعهموذيادتهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم، إذ نعرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم"[65]. يظهر من هذا الكلام مخالفة توينبي لقوانين الحياة والواقع التاريخي، ولكن علينا نفكر في نظرية ابن خلدون عن عوامل البقاء والسقوط حسب زمنه ونظام عصره.فالعصبية عند ابن خلدون يجمع الأفرادحول بعضهم في دائرة واحدة بشكل جماعة واحدة قوية، وذلك بحسب رأي أبن خلدون منخلال صلة الرحم والنسب العام والخاص والولاء والحلف، ونجد في المقدمة أنَّهيستخدم مصطلحات مختلفة لمعنى العصبية الذي يقصده مثل(اللحمة، والالتحام، والصلة، والوصلة، والنعرة[66].

---

[63] د.عصام عبد الشافي، الثورة والبناء الحضاري عند ابن خلدون،**دراسات سياسية**، المعهد المصري،٢٨ أغسطس ١٩٦٢)،١

[64] جهاد علي السعايدة، دراسة تحليلية نقدية للمآخذ على فكر ابن خلدون فينظرته للعرب ونظريتي العصبية والدولةوالمنهج الذي اتبعه،(دمشق:مجلة جامعة، المجلد٣٠، العدد٣+٤، ٢٠١٤)،٥١٠

[65] مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبدالواحد وافي،٤٨١،٤٨٠

[66] مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبد الواحد وافي،٢: ٤٨٤-٤٨٩ و ٥٠٠-٥٠٣

يقول صاحب كتاب "دراسات في مصطلح السياسة عند العرب" عن فكرة القيام والسقوط للدول عند ابن خلدون: شغل موضوع الدولة وقيامها وانهيارها جانباً كبيراً في مقدمة ابن خلدون، ومع ذلك فإنه لا يقدم تعريفاً محدداً للدولة، وقد يعود ذلك لسببين: الأول أن ابن خلدون غالباً ما يعبر في لغته السياسية عن الدولة بلفظ الملك، إذ نجد في المقدمة جملاً وفقرات جاءت فيها كلمة دولة مرادفة للملك، أ ما السبب الثاني فإن ابن خلدون أحياناً يطلق العصبية بمعنى الدولة، فالعصبية لها دائماً غايتها التي تسعى إليها، وهي الملك" الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك"[67]. أن الكاتب وضح بعض الافكار عند ابن خلدون وذكره للدولة بألفاظ أخرى مرادفة " وليس الملك لكل عصبية، وإنَّما الملك لمن يستعبد الرعية، ويجبي الأموال، ويبعث البعوث، ويحمي الثغور، ولا تكون فوق يده يد قاهرة "[68].

خلاصة الكلام:

أن هذا البحث يشتمل على وضوح النهج والفكر آرنولد جوزيف توينبي، لنعرف كيف سلّم حقائق سلطت الحضارة الإسلامية مع اختلاف القومية والمذهبية مع تذبذبه الجانبية، حيث يقول عن المجتمع الاسلامي: "يمكننا أن نتبين نموذجاً آخر للمجتمعات الحية بالرجوع إلى خلفية المجتمع الاسلامي الذي اشتمل تاريخه على قيام الدولة العالمية، والديانة العالمية ومقاومة الهجمات البربرية، ... واقامة الدول على حدود الخلافة حوالي ثلاثة قرون"[69].حول هذا البحث وصلت على أنه اجتهدت من طرق العلمي والسياسي ليعرف ما هي حقيقة التاريخ الإنسان، فوصل إلى فكر "الحضارة" كابن خلدون، لذا أشاد له توينبي عدة مرات في الكتاب.

حيث بينت فكره التاريخ "الحضاري" يفسر عن فكره الديني الايجابي، حيث يقول ويدعي أن في العالم ثلاث أديان العظمى، بدون كلام على "أي منهم على الحق"، رأيه جيد "إذا ما ألقينا نظرة على الهيئات الدينية الكبرى المنتشرة في العالم في الوقت الحاضر: المسيحية والإسلام؛ سنجد أن الجمهرة العظمى من مريديها..."[70] ، لكنه ارتكب أخطاء في تعزيز تفكيره، أولاً: في فكره الحضاري عن الدين، كمؤرخ مسيحي أخطأ في ذكر تاريخ والحضارة الإسلام ك"يرى تفوق الغرب في كل شيء بسبب مسيحيته وبغربيته، كما يظهر من كتاب "دراسة التاريخ" انتصاره للغرب والمسيحية في نهاية كل كلام. ويظهر من اقتباساته عن

---

[67] عبدالسلام، احمد، دراسات في مصطلح السياسة عند العرب، تونس، الشركة التونسية للتوزيع،١٩٨٥، ٦٠

[68] مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبد الواحد وافي،٢: ٥٥٩، ٦٠

[69] Arnold J. Toynbee, *A Study of History*, Vol. 1, 67.

[70] آرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،١: ٣٥٨

الإسلام أنه لايعرف عن الإسلام شيئاً كما أنه يعد الإسلام من الحضارة السريانية[71]، والثانياً: أن آرنولد توينبي في كل بحثه التاريخي عن الحضارة ربط العرب والإسلام مع حضارة السريانية وهذا ينافي الحقيقة، وفي كل بحث ذكر تتمة الحضارة السريانية رابطاً مع الإسلام،... هذا هو خطأ كبير من آرنولد ويظهر منه ليت أنه ما طالع الإسلام والعرب بالعمق والفكر... يقول توينبي خاصة حسب ما يريد أن يتعلق الإسلام مع الآديان الأخرى.

حيث غرض من الأحداث التاريخية عند توينبي لفهم منهجه التاريخي، كما قام باباً في كتابه المسمى "اصطدام الإسلام بالعالمين المسيحين"، يظهر من هذا أنه لم ينصف في دراسة التاريخ في بيان مراحل الأحداث التاريخية. ويقول: "ولم يكن الهجوم الإسلامي على المسيحية الغربية عن طريق أيبريا وفيما وراء جبال البرانس ... بالشدة التي بدأ بها، وذلك بسبب طول خط المواصلات بين هذه الجبهة، وينابيع الطاقة الإسلامية في جنوب غرب آسيا. ولايصعب علينا العثور على نقطة كانت فيها خطوط المواصلات أقصر، وظهر بالتالي أن الهجوم الإسلامي كان عندها عنيفاً غاية العنف. وتتجلى هذه الناحية في الأناضول التي كانت في ذلك الوقت معقل الحضارة المسيحية الأرثوذكسية..."[72]. كما أشرت إلى جانبه الديني.

أنّني وضحت الأحداث التاريخية خاصة الأمور عن البقاء والسقوط حسب فكر كلا المؤرخين ابن خلدون وآرنولد توينبي، حيث ذكر توينبي عن حضارات الأقوام حسب نظريته الحضاري والديني. وأن فكره البروليتاريا كان مهما للفهم فكر التاريخي، كما قسم هذا الاصطلاح إلى البروليتاريا الداخلية والخارجية. هذه النقطة مهم للفهم في ضوء العصر الحاضر، فلذا فسرت بالوضوح.

حسب نهج العلمي وضحت جوانبه الإيجابية و السلبية عن فهمه عن الأحداث التاريخية وفلسفته البقاء والسقوط الحضارات وعن فكره الدين خاصة عن الإسلام، لنفهم من فكر المستشرق حسب عصرنا الحاضر لملّتنا الأيجابياتنا والسلبياتنا عبر التاريخ، وفكر الغربي لنواجههم لنجد مكان المفقود في غابات الزمان.

نتائج الكلام:

- ❖ بدأت الكلام عن آراء حول فكر التاريخي، أن ما هي أوصاف المؤرخ في بيان التاريخ، في ضوء هذا ركزت على أن توينبي كيف يفهم التاريخ وماذا رأيه عن الإيصال إلى الحقائق التاريخية.

---

[71] ثائن بي، *مطالعه تاريخ*، ۱: ۴۱۱

[72] أيضاً، ۱: ۲۶۷

- أن غرض من الأحداث التاريخية عند توينبي لنفهم منهجه التاريخ، كما قيام بابه المسمى "اصطدام الإسلام بالعالمين المسيحين"، يظهر من هذا أنه لم ينصف في دراسة التاريخ في بيان مراحل الأحداث التاريخية.
- أني قد ذكرت في الأحداث التاريخية بعض الأمور عن البقاء والسقوط حسب فكر كلا المؤرخين ابن خلدون وآرنولد توينبي، حيث ذكر توينبي عن حضارات الأقوام حسب نظريته الحضاري والديني.
- أن فكر البروليتاريا كان مهما للفهم فكر التاريخي، كما قسم هذا الاصطلاح إلى البروليتاريا الداخلية والخارجية. هذه النقطة مهم للفهم في ضوء العصر الحاضر، فلذا فسرت بالوضوح.